ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (60)

جيش السفياني في رحبة الكوفة (ج2)

عبد الحليم الغزّي

الاربعاء : 21/جمادى الاولى/1442هـ - الموافق 6/1/2021م

هذا هو الجزءُ الثاني فيما يرتبطُ بجواب السؤال الثالث والّذي يدورُ مضمونهُ حول ما جاءَ في الرواية عن إمامنا الصّادق صلواتُ الله وسلامهُ عليه والّتي رواها الشّيخ الطوسي في كتابه الغَيبة: **بِسنده، عَن عُمر بنِ أبَان الكَلبِي، عَن إمَامنَا الصّادقِ صَلواتُ الله وسَلامهُ عَلَيه** - بحسبِ ما جاء في المطبوع: **كَأنِّي بِالسّفْيَانِي أو بِصَاحِبِ السّفْيَانِي** - قطعاً الترديدُ من الراوي وليس من الإمام، أرجَحُ أنَّ أصلَ النّص: (**كَأنِّي بِصَاحِبِ السُّفيَانِي**) **قَدْ طَرحَ رَحْلَهُ فِي رَحْبَتِكُم بِالكُوفَة، فَنَادَى مُنَاديه؛ مَنْ جَاءَ بِرَأسِ رَجُلٍ مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ فَلَهُ أَلْفُ دِرْهَم، فَيَثِبُ الجَارُ عَلَى جَارِه وَيَقُول: هَذا مِنْهُم، فَيَضرِبُ عُنُقَه وَيَأخُذُ أَلْفَ دِرْهَم** - إلى هنا تمَّ الحديثُ في الحلقة الماضية، ما بقيَ من الرواية سأتحدَّثُ عنهُ بحسبِ الممكن في هذه الحلقة: **أَمَا إِنَّ إِمَارَتَكُم يَومَئذ لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَوْلَاد البَغَايَا، وَكَأنِّي أَنْظُرُ إِلَى صَاحِبِ البُرْقُع، قُلتُ: وَمَنْ صَاحِبُ البُرْقُع؟ فَقَالَ: رَجُلٌ مِّنْكُم يَقُولُ بِقَوْلِكُم يَلْبَسُ البُرْقُعَ فَيَحُوشُكُم فَيَعْرِفُكُم وَلَا تَعْرِفُونه، فَيَغْمزُ بِكُم رَجُلاً رَجُلاً، أَمَا إِنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا ابنَ بَغِي.**

أَمَا إِنَّ إِمَارَتَكُم - إنَّها منظومةُ الحُكْم إنَّهُ النظام - **أَمَا إِنَّ إِمَارَتَكُم يَومَئذ لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَوْلَاد البَغَايَا** - كلامٌ خطيرٌ جِدّاً! النِّظامُ بكُلِّ شُخوصه من أولاد البغايا، يعني الّذين في النّجف، الّذي ن في بغداد وما بينهما، هذا ما هو كَلامي هذا كَلامُ الصّادقِ صلواتُ الله وسلامهُ عليه.

- **ما المراد من البغايا وفقاً لنظرية الظهور العرفي؟**

_ المعنى الأول: البغايا: العواهر اللاتي يُقدِّمن الخدمات الجنسية مقابل الأجر.

البغايا جمعٌ لبغي، ويقال: امرأة بغي، إنَّها عاهرة، العواهرَ كما يُقالُ عنهن بناتُ الليل، بائعاتُ الهوى، اللاتي يشتغلن في زماننا كما يُقالُ عنهن في أعمال الإمتاع الجنسي.

ولكنّ العقلَ العمليَ لا يستطيعُ أن يتقبّل هذا المعنى، إنّني أتحدَّثُ عن العقلِ العملي لأنَّ القضية ما هي بفكرة نظرية مجرّدة حتّى أحتاج أن أتحدَّث عن العقل النظري إنَّها قضيةٌ عمليةٌ من واقع الحياة وترتبطُ بأساليبِ عيشِ الناس، وطريقة حياتهم، فحينما أتعاملُ معها عقلياً أتعاملُ معها في جهة العقلِ العملي، لا نستطيعُ أن نتصوّرَ نظاماً سياسياً بكُلِّ أفراده يُطلقُ عليه من أنَّ جميعَ أفراده من أولاد العواهر، فهذا المعنى نطرحهُ جانباً.

_ المعنى الثاني للبغايا: المراد من البغايا الزّواني.

فالبَغيَ المرأةُ الّتي تزني تمارسُ العمل الجنسي ليس كالعاهر بأجور لكنّها تُمارسُ العمل الجنسي لرغبتها فيه خارجَ الإطار الشرعي، ولا أتحدَّثُ عن الإطار الشرعي الإسلامي هنا، الإطارُ الشرعيَ لتشريع الزواج لكُلِّ أمّة من الأمم، لكُلِّ ديانة من الديانات، فكُلُّ أمّة لها شرعها بغضِّ النّظرِ هل هو شرعٌ سماويّ شرعٌ أرضي لها شرعها الّذي يُقنِّنُ الزواج، فكُلُّ مُمارسة تكونُ خارجَ هذا التقنين لن تكونَ شرعيةً فهي زنا.

وهذه الصورةُ أيضاً لا يمكن أن تنطبق على نظامٍ بكُلِّ أفراده أمّ هاتهم تزني خارج الإطار الشرعي وهم قد تولّدوا من هذا الزّنا أو رُبّما تولّدوا من آبائهم إلّا أنَّ أمّهاتهم زَواني، هذا الكلامُ أيضاً لا يَنسجمُ لا معَ التاريخ ولا مع الواقع الحاضر، ولا يقبلهُ العقلُ العمليَ حتّى في مستقبلِ الأيام، وأعتقدُ أنَّكم تتّفقون معي، الروايةُ لا تتحدَّثُ عن عدد محدود من الأشخاص، إنَّها تتحدَّثُ عن منظومة سياسية كاملة، إنَّها تتحدَّثُ عن النِّظام العبّاسي الّذي سيحكمُ العراق وتحديداً في الوسط الشيعي، فالخطابُ لنا: **أَمَا إِنَّ إِمَارَتَكُم يَومَئذ لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَوْلَاد البَغَايَا** - الإمامُ لا يتحدَّثُ مع النّواصب يتحدَّثُ مع الشّيعة.

_ المعنى الثالث كان يُستعملُ في قديمِ الأيام، في زمانِ إمامنا الصادقِ وحتّى ما بعد زمانِ إمامنا الصّادق: تطلقُ هذه اللفظة (البغايا) على الجواري.

واللفظُ هنا ليسَ ذمّاً للجواري، لكنّهُ في أصله كانَ ذمّاً، لأنَّ العرب وخصوصاً في المناطقِ المتحضّرة كانوا يستعملون الجواري في تجارة الجنس، مدينةُ مكة كانت مشهورةً بذلك، وأصقاعٌ أخرى في بلادِ العرب لكن من أشهر المدن الّتي كان تُمارسُ التجارة الجنسية كبارُ القومِ في قريش كانوا يمارسون التجارة الجنسية عبرَ الجواري.

وهذا الكلامُ لا ينسجمُ مع الواقع، أولاً؛ لا وجود لنظام الجواري في أيامنا هذه وفيما سيأتي، هناك عبودية مُقنّعة، هناك إماءَ وجوارٍ وتجارةٌ للرقيق الأبيض والأسود موجودةٌ في العالَم لكنّها مُقنّعةٌ لا نستطيعُ أن نُطلق عليها هذه العناوين الَّتي كانت مستعملةً في قديم الأيام، فلا وجود للجواري ، وحتّى لو افترضنا أنَّ نظامَ الجواري سيعودُ في قادم الأيام نحنُ لا ندري متى سيظهرَ السُفياني، لو افترضنا هذا الفرض فمستبعدٌ جِدّاً أن يكون نظامٌ بالكاملِ أفرادهُ من أبناء الجواري فقط، فهذا الكلامُ لا يستقيمُ لا مع التاريخ، لم يكن قد حدث هذا في قديمِ الأيام وهو لا ينسجمُ مع أيامنا ولا ينسجمُ مع منطقِ العقل العملي، كيف لنا أن نتصوّر نظاماً سياسياً وعسكرياً بالكامل كُلُّ أفراد هذا النظام هم من أبناء الجواري أمّهاتهم جِيء بها من سوقِ الإماء.

_ بقي عندنا احتمالٌ واحد: وهو أنَّ الإمام استعمل هذا التعبير كما يستعملُ السوقةُ هذا التعبير.

مثلما يستعملُ الناس هذا التعبير في بعض الأحيان الأب يقولُ لولده: (ياابن الكلب)، إنَّهُ لا يشتمُ نفسهُ، إنَّهُ يريدُ أن يقول من أنَّ هذا الولد سيئٌ جِدّاً، هذه تعابيرٌ كنائيةٌ لكنّها سوقيةٌ كما قلتُ لكم.

لكنّني لا استطيع أن أتصوّر أنَّ الإمام يستعملُ التعابير السوقية وهو يتحدَّثُ عن شيء مستقبليَ مُهم فهذا يُخالفُ الحكمة. نعم الإمامُ في وقته في لحظة حاجة متلقٍ لاستعمال الأساليبِ السوقية يمكن أن يستعملها، وهذا الأمرَ إن كانت هناك قرائن مقالية أو قرائن حالية نستطيعُ أن نستكشفه من خلال تلكَ القرائن، من أنَّ كلام الإمام الَّذي جاء بأسلوبٍ سوقي يتناسب مع لحظة القول بخصوص ذلك المتلقي، أمّا وأنَّ الكلام مُوجّهٌ للجميع للعالَم والجاهل مُوجّهٌ للَّذين يبحثون عن الحقائق، فلا أستطيعُ أن أتصوّر أنَّ الإمام يستعملُ الأساليب السوقية لبيانِ هذا المطلب، الإمامُ حينما استعمل هذا التعبير إنَّهُ يقصدهُ بشكلٍ كامل، وإنَّهُ يُخاطب المتلقي حتّى في أعلى مستوياته العلمية والمعرفية والثقافية.

بحسبِ نظريةِ الظهور العرفي: لم يبق لدينا شيء لفهمِ كلمة البغايا، إذا أردنا أن نستعمل المعاني المتقدِّمة إنَّها لا تنسجمُ لا معَ التاريخ، لا معَ الواقع، لا معَ منطقِ العقل العملي.

_ إذاً هل تعرّضت الروايةُ للتحريف أو أنَّ الرواية ليست صحيحةً؟!

قد يذهبون إلى هذه الأقوال، لأنَّ نظريتهم لم تنطبق بشكلٍ صحيح على هذه الرواية، أنا لا أريدُ أن أناقشَ كُلَّ شيء، الروايةُ بناءٌ مُتكاملٌ، نصٌ قويٌ جِدّاً، وهذا يدلُّكَ على أنَّ تلكَ النَّظرية ليست صحيحةً في جميع حالاتها وتطبيقاتها، وهذا ما أشرتُ إليه حينما تحدَّثتُ عن معاريض كلامهم صلواتُ الله عليهم وأنَّ الظهور العرفي لا نستطيعُ أن نقول به على الإطلاق، ولا نستطيعُ أن نرفضهُ على الإطلاق، فهناك مساحةٌ نحتاجُ فيها إلى إعمالِ الظهور العرفي لفهمِ النصوص، لكنّنا لا نستطيعُ أن نُطبق برنامج (الظهور العرفي)، في جميع الحالات.

المساحةُ الأوسع تبقى لمعاريض كلامهم، لماذا يستعملُ الأئمَّةُ أسلوب المعاريض؟!

أسلوبُ المعاريض هو أسلوبُ الشفرات، كثيرٌ من العلوم تُكتبُ بالرموزِ والمعادلات وهي في الحقيقة شفرات لا يعرفها إلَّا المتخصّصون، الأسرارُ العسكرية، الأسرارُ الأمنية، الأسرارُ الاقتصادية، أسرارُ العالَم الافتراضي في هذه التكنولوجيا الإلكترونية الهائلة، الشفرات موجودةٌ في مساحات واسعة من حياتنا، من حياتنا المادية ومن حياتنا المعنوية، حتّى الكتبُ السّماويةُ تشتملُ على الشفرات والرموز، الحروفُ المقطعةُ في أوائلِ السورِ القُرآنية ما هي إلَّا شفرات، ما الحكمةُ من ذلك؟

الحكمةُ: أنَّ الأئمَّة يحفظون لنا ثقافتهم بهذا الأسلوب، ولذا فإنَّ الَّذي يكون مُلمّاً بهذا الأسلوب يستطيعُ أن يصل إلى الحقائق

إذاً ما المرادُ من البغايا في الرواية وفقاً لمعاريض كلامهم؟!

معاريض كلامهم تُوصلنا إلى المعنى عبرَ مجموعةٍ من المفاهيمِ من خلالها نستلُّ المفهوم الصحيح، عبرَ مجموعة من المعطيات، ولذا فأنا بحاجة إلى مجموعة من المعطيات:

- **المعطى الأولى الَّذي سأسلّطُ الضوء عليه ينطلقُ من هذا العنوان: طِيبُ الولادة.**

_ الإستعمال الأول: طيب الولادة بالمعنى العام.

في كُلِّ مولودٍ يولدُ في الإطارِ الشرعي للعلاقة بين الرجل والمرأة إنَّها علاقةُ الزواج، هناك عندنا نكاح، وهناك سفاح، النكاحُ العلاقةُ بينَ الرجل والمرأة الَّتي تنضبط بقواعد التشريع لكُلِّ أمّة، لكُلِّ ديانة، السِفاحُ هوَ ما كانَ خارجاً عن ذلك بحسبِ أعراف كُلِّ أمّة، بحسبِ قواعد تشريع كُلِّ ديانة، بغضِّ النظرِ هذه الديانةُ نُسخت لم تُنسخ، ووفقاً للضوابط الَّتي يعتقدونَ بها، ما كانَ خارجاً عن تلكَ الضوابط الشرعية لأيّة ديانة في أجوائها يكونُ ذلك سِفاحاً، والولدُ الناتجُ ما هو بطيبِ الولادة.

• وقفة مع مجموعة من الروايات عن إمامنا الصادق صلوات الله عليه.

_ الاستعمالُ **الثاني: طيب الولادة بالمعنى الخاص؛ إنّه طيب الوَلاية.**

الاستعمالُ الأول: لا علاقة لهُ بوَلاية عليَ.

طيبُ المولد بالمعنى الخاص: هو طيبُ الوَلاية، هذا الَّذي يرتبطُ بوَلاية عليَ وآلِ عليَ، هذا الَّذي حينَ يتحدَّثُ عنهُ أئمَّتنا وعن الَّذين يتّصفونَ به يصفونهم بأنَّهم شيعتنا، فهناك فارقٌ كبير:

- بين أن أقول إنِّي شيعيَ، ولكنَّي لا أملكُ ضماناً من أنَّ الحُجّة بن الحسن يعدّني من شيعته.
- وبين أن يقول الإمام عنّي هذا من شيعتي.

- **وقفة مع حكم إبن الزّنا من خلال معاريض كلامهم صلوات الله عليهم.**

- **طيبُ الولادة هذا من أين يتأتى؟!**

صحيحٌ الرواياتُ ربطت هذا الموضوع بالخُمس، طيبُ الولادة يتأتى من قَبول الإمام وعدم قبوله، هذه منحةٌ من الإمامِ المعصوم يمنحها، فيمكن أن يُولد المولود في الجوِ الشيعي بينَ أمّه وأبيه بحسبِ الموازين الشرعية فهو طَيِّبُ الولادة بالمعنى العام، لكنَّهُ لا يكونُ طيب الولادة بالمعنى الخاص، (**أَمَا إِنَّ إِمَارَتَكُم يَوْمَئِذ لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَوْلَاد البَغَايَا**)، لشيعة لكنَّهم ليسوا من الَّذين قد طُيبت موالدهم من قبلِ الإمام، لا يعدَّهم الإمامُ من شيعته عقيدتهم عباسيةٌ، منظومتهم العقائديّةٌ جاءوا بها من الشَّوافع والمعتزلة، طيبُ المولد بالمعنى الخاص هذه هبةٌ من الإمامِ المعصوم، وهذه تُوهبُ لهُ بعدَ الولادة، لا علاقةَ للمولود أن يكون بينَ أمّه وأبيه بنحوٍ شرعي - تلكَ الولادةُ الطيبةُ بالمعنى العام، وهذا يجري حتّى للأمم الأخرى، فإنَّهُ لكُلِّ أمّة نكاحاً يحتجزونَ به عن الزّنا، هذا الأمرُ يجري في الشيعة إذا ما جرت الولادةُ بينَ زوجٍ وزوجة ضمنَ الضوابط الشرعية الشيعيّة، فتلكَ ولادةٌ طيبةٌ بالمعنى العام، ويمكن أن تكونَ لمولود بينَ أبٍ يهوديٍ وأمٍ يهودية بحسبِ قواعد النكاحِ عند اليهود، حتّى في أيامنا هذه، أمّا طيبُ المولد بالمعنى الخاص فهذه هبةٌ من الإمامِ المعصومَ قد تُعطى للَّذي تكونُ ولادتهُ طيبةً بالمعنى العام وقد لا تُعطى، وقد تُعطى لولد الزّنا الزّنا، لولد السفاح، هذا أمرٌ راجعٌ إلى الإمامِ المعصوم.

• وقفة مع سورة النور، من الآية الحادية والعشرين بعد البسملة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾، تستمر الآيات والخطاب في أجواء الَّذين آمنوا، ثُمّ تأتينا الآية السادسة والعشرون بعد البسملة: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾، هذا كُلُّهُ في الجوِ الإسلامي، هذا كُلُّهُ في الجو المؤمن، فيمكن أن تكونَ الولادةُ ما بينَ خبيث وخبيثة بحسبِ الآية في جوِ المسلمين، بحسبِ القواعد الشرعية وهي ولادةٌ طيبةٌ وطاهرةُ المولد بالعنوانِ العام لطيبِ الولادة، لكنَّ المولود قد لا يمنحُ طيب الولاية من قبل إمامه، فطيبُ الولاية هو طيبُ المولد بالمعنى الخاص.

وهؤلاء الخبيثون والخبيثات يمكن أن يتحوّلوا إلى طيّبين وطيبات، وحتّى الطيّبون والطيّبات يمكن أن يتحوّلوا إلى خبيثين وخبيثات، هذا كُلُّه بحسبِ عقيدة الإنسانِ وعمله، نحنُ نقرأ في أحاديث شؤون الغيبة المهدويّة: (من أنَّ الرَجُلَ من شيعتهم يُصبِحُ عَلَى دينٍ ويُمسي عَلَى دين)، يُصبحُ على أمرٍ ويُمسي على أمرٍ آخر، من أنَّ الرجل يُمسي على أمرٍ ويُصبحُ على أمرٍ آخر، تارةً يُصبحُ على أمر فيمسي على أمرٍ آخر، وأخرى يُمسي على أمرٍ ولكنَّهُ يُصبحُ على أمرٍ آخر، يُصبحُ مهتدياً يُمسي ضالاً، يُمسي مهتدياً يُصبحُ ضالاً، الأمورُ تتحركُ في حياة الإنسانِ في جميع الاتجاهات، وليس هناك من ضمانٍ أن يبقى الإنسان على اتجاه واحد، هذه هي الدنيا هذه قواعدُ اللعبة في هذه الحياة.

• وقفة عند آيات من سورة آلِ عمران، وسورة طه ومفهوم طيب الولادة بالمعنيين العام والخاص.

خُلاصةٌ لمَا تقدَّم: **أَمَا إِنَّ إِمَارَتَكُم** - ليس الحديثُ عن الأمراء الحديثُ عن النظام، والنظامُ أشخاصهُ كثيرون، قادةٌ، موظفون، مدنيون، عسكريون - **أَمَا إِنَّ إِمَارَتَكُم يَوْمَئِذ** - وقت السّفياني حينما يكون الحَكمُ عباسياً في بغداد والنَّجف - **أَمَا إِنَّ إِمَارَتَكُم يَوْمَئِذ لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَوْلَاد البَغَايَا** - كُلُّهم في ذلك النظام أولادُ بغايا.

فهل البغايا عواهر؟! الجوابُ: كلا.

فهل البغايا زواني؟! الجوابُ: كلا.

فهل البغايا جواري؟! الجوابُ: كلا.

فهل هذا الوصف أولادُ البغايا وفقاً للتعابيرِ السوقية عند السوقة؟! الجوابُ: كلا.

لا شأن لنا بنظريةِ الظهور العرفي إنَّها فاشلةٌ فاشلةٌ فاشلة، قد تَصدُقُ في بعض الأحيان.

نذهبُ إلى المعاريض الَّتي تشرحُ لنا المعاني وتحفظُ الأسرار في جوفِ كلامهم بحسبِ قاعدة: (كَلامُكُم نُور)، ومرَ الحديثُ عن المعاريض؛ مفاهيم تُستلُّ من معطياتِ من ساحةِ موسوعيةِ تستندُ إلى بناء عقائدي سليم.

بدأت بالمعطى الأول: الولادةُ الطيبة، طِيبَ الولادة.

طِيبُ المولد معنيان:

- معنىَ عام: إنَّهُ النكاح وليس السِفاح، في كُلِّ الأممِ والديانات.
- المعنى الخاص: إنَّهُ عطاءَ من المعصومِ للمولود، قد يكونُ هذا العطاء للسيِدة مريم ولموسى النَّبي، إنَّهُ عطاءَ من مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد، وقد يكونُ عطاءَ لكُلِّ الَّذين يقولون من أنَّنا من شيعتهم، بل رُبّما يكونُ عطاءَ حتّى لذلك الَّذي يُولدُ في الأجواء غير الشرعية.

(أمَا **إِنَّ إِمَارَتَكُم يَوْمَئذ لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَوْلَاد البَغَايَا**): هؤلاء طاهروا المولد، قطعاً بشكلٍ عام نحنُ لا نستطيعُ أن نقطع بطهارة المولد بالمعنى العام للجميع هذا أمرٌ نحنُ لا نعرفهُ، لكنَ في الجوّ الشيعي العام طهارةُ المولد يُحكَمُ بها للشيعة عموماً الَّذين يَعدُّون أنفسهم شيعةً، نحنُ لا ندري هل أنَّ الإمام يَعدَّ هم من شيعتهِ أو لا؟ فطهارةُ المولدِ بالمعنى العام تنطبقُ عليهم، لكنَّ طهارة المولدِ بالمعنى الخاص وهو طِيبُ الوَلاية وأساسهُ العقيدةُ السليمة، لا ينطبقُ عليهم.

وهناك من تجتمعُ كُلُّ القبائح فيه من خبث الولادة بالمعنى العام والخاص: إنَّهم أعداءَ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد.

• وقفة عند الزيارةِ الجامعةِ لأئمَّة المؤمنين في مفاتيح الجنان.